188 - ـ فصل : في العزلة التفكير في زاد الرحيل .

ما أعرف نفعا كالعزلة عن الخلق خصوصا للعالم و الزاهد فإنك لا تكاد ترى إلا شامتا بنكبة أو حسودا على نعمة و من يأخذ عليك غلطاتك .

فيا للعزلة ما الذها سلمت من كدر غيبة و آفات تصنع و أحوال المداجاة و تضييع الوقت ثم خلا فيها القلب بالفكر لأنه مستلذ عنه بالمخالطة فدبر أمر دنياه و آخرته فمثله كمثل الحمية يخلو فيها المعي بالأخلاط فيذيبها .

و ما رأيت مثل ما يصنع المخالط لأنه يرى حالته الحاضرة من لقاء الناس و كلامهم فيشتغل بها عما بين يديه فمثله كمثل رجل يريد سفرا قد أزف فجالس أقواما فشغلوه بالحديث حتى ضرب البوق و ما تزود فلو لم يكن في العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل و السلامة من شر المخالطة كفى .

ثم لا عزلة على الحقيقة إلا للعالم و الزاهد فإنهما يعلمان مقصود العزلة و إن كانا لا في عزلة .

أما العالم فعلمه مؤنسه و كتبه محدثه و النظر في سير السلف مقومه و التفكير في حوادث الزمان السابق فرجته .

فإن ترقى بعلمه إلى مقام المعرفة الكاملة للخالق سبحانه و تشبث بأذيال محبته تضاعفت لذاته و اشتغل بها عن الأكوان و ما فيها .

فخلا بحبيبه و عمل معه بمقتضى علمه .

و كذلك الزاهد تعبده أنيسه و معبوده جليسه فإن كشف لبصره عن المعمول معه غاب عن الخلق و غابوا عنه .

إنما اعتزلا ما يؤذي فهما في الوحدة بين جماعة فهذان رجلان قد سلما من شر الخلق و سلم الخلق من شرورهما .

بل هما قدوة للمتعبدين و علم للسالكين ينتفع بكلامهما السامع و تجري موعظتهما المدافع و تنتشر هيبتها في المجامع .

فمن أراد أن يشتبه بأحدهما فليصابر الخلوة و إن كرهها ليثمر له العسل و أعوذ با ا من عالم مخالط للعالم خصوصا لأرباب المال و السلاطين يجتلب و يجتلب و يختلب فما يحصل له شيء من الدنيا إلا و قد ذهب من دينه أمثاله .

ثم أين الأنفة من الذل للفساق ؟ .

فالذي لا يبالي بذلك هو الذي لا يذوق طعم العلم و لا يدري ما المراد به و كأنه به و قد وقع في بادية جرز و قفر مهلك في تلك البراري .

و كذلك المتزهد إذا خالط و خلط فإنه يخرج إلى الرياء و التصنع و النفاق فيفوته الحظان لا الدنيا و نعيمها تحصل له و لا الآخرة .

فنسأل ا D خلوة حلوة و عزلة عن البشر لذيذة يستصلحنا فيها لمناجاته و يلهم كلا منا طلب نجاته إنه قريب مجيب